

بعد السباق

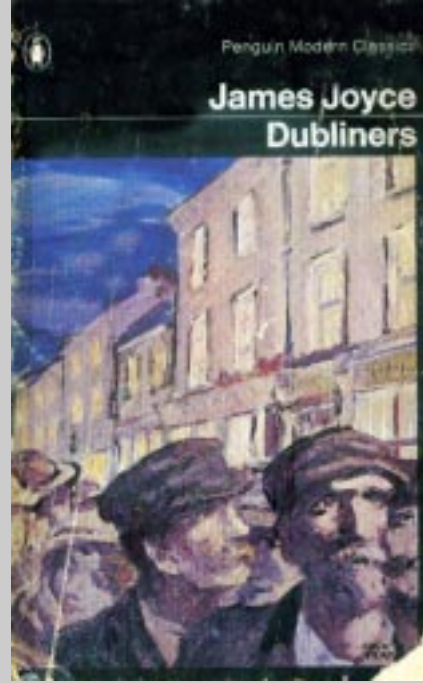
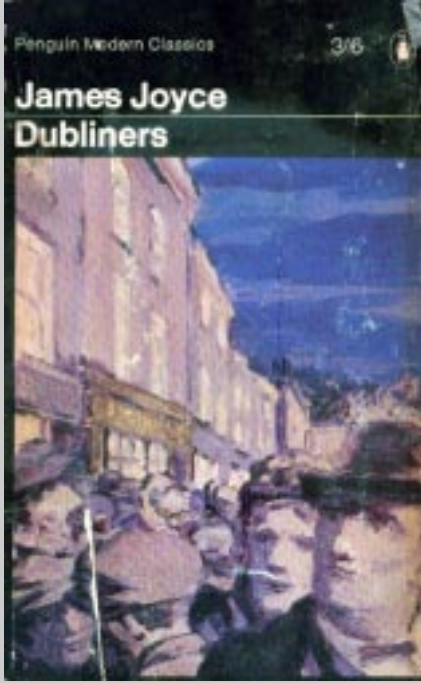
جميس جويس

ترجمة: أفق سبيريذ ◆ مراجعة: م. بروفيسور سلام ناوخوش / جامعة صلاح الدين

جاءت السيارات مندفعة نحو دبلن، تتسابق بانتظام، تترى كحبات البندق المتتالية في أخدود طريق الناس، على قمة التل من انجيكور، وقف المتفرجون في مجموعات، لمراقبة السيارات التي تنطلق باتجاه خط النهاية، وخلال هذه القناة من الفاقة والبطالة، حيث منعت القارة ثروتها وصناعتها، بين حين وآخر يرتفع هتاف مجموعة من الناس، غاضبين الطرف بعض الوقت عن اضهادهم بامتنان، على أية حال، كانت السيارات الزرقاء- سيارات أصدقائهم، الفرنسيين2- محل عطفهم وتشجيعهم.

علاوة على ذلك، كان الفرنسيون عملياً هم المنتصرين، هو ذا الفريق الفرنسي، بحسب افتراضي، إنهم فريق صلب، حازوا المرتبة الثانية والثالثة، وسائق السيارة الألمانية الفائزة، أشيع عنه أنه بلجيكي، وبسبب لون سيارتهما الأزرق، وبناءً على ذلك المقياس، كان ارتفاع التشجيع مضاعفاً، بينما فاق كل هتاف ومشجع على قمة التل، مجموعة من أربعة شباب، مرحين وصاخبين، واعترف الجميع بتفوقهم من خلال ما أرسلوه لهم من ابتسامات وإيماءات، حيث بدت روحهم المعنوية في تلك اللحظة أعلى بكثير من الفرنسيين أنفسهم، هؤلاء الشباب الأربعة الجذلين كانوا تشارلز، مالك السيارة، أندريه كهريائي شاب كندي الولادة، وفيلونا هنغاري ضخم، وشاب قد اعتنى بهندامه وشكله كثيرا يدعى دويل، الذي كان جذاً لاستلامه بعض الطلبيات التجارية بشكل غير متوقع، وقبض ثمنها مقدماً) وكان على وشك أن يبدأ العمل في شركة سيارات في باريس) وكان ريفيغ سعيداً لأنه كان سيتعين مديراً في الشركة، هذان الشابان (اللذان كانا أبناء عم) كانا أيضاً جذلين بسبب فوز السيارات الفرنسية، فيلونا كان سعيداً أيضاً لأنه كان بانتظار وجبة غداء ممتعة ومُرضية جداً، بالإضافة إلى أنه كان متفائلاً بطبيعته، العضو الرابع في الجماعة على أية حال، كان مُستثاراً جداً لأن يكون سعيداً حقاً كان عدوى السعادة قد انتقلت إليه.

كان عمره ستة وعشرون سنة تقريباً، رقيق المشاعر، عيناه الرمادية تظهرانه برئ المظهر، مع شارب خفيف بني اللون، والده الذي بدأ الحياة كقومي متعصب، عدل وجهات نظر ولده مبركراً بالقومية الأيرلندية، وصنع ثروته من عمله كجزار في كينغزتاون وافتتح الدكاكين والأسواق في دبلن وفي الضواحي مما ضاعف ثروته عدة مرات، أصبح غنياً بما فيه الكفاية ليعقد الاتفاقات مع الشرطة، ويستغل صُحف دبلن كي تصوره كامير تجاري، أرسل ابنه إلى إنجلترا ليتعلم في كلية كاثوليكية كبيرة، أرسل بعد ذلك



إلى جامعة دبلن لدراسة القانون، جيمي لم يكن جدياً في دراسته، نال درجات رديئة في الفصول الأولى، كان عدده المال الكافي، وهو كان شعبياً اجتماعياً، ضيغ وقته بين المسرحيات الموسيقية ودورات تعلم السياقة، كان قد طلب انتقاله إلى كامبردج ليعيش حياةً مختلفة، جيمي وجد سروراً عظيماً في التعرف على بقاع كثيرة من الأرض، والتعاشيش مع مجتمع ظنه متوحداً، كان والده يعترض عليه، لكنه سرّاً كان فخوراً بولده، ثم اضطر إلى دفع فواتيره وإعادته إلى البيت، وفي كامبردج التقى بصديقه سيكويين، والذي صار أكثر من صديق، كان يعتبر نفسه من مالكي الفنادق الفرنسية الضخمة، مثل هذا الشخص - كما وافقه والده - جدير بالتعارف، حتى وإن لم تكن صحبته ساحرة وفاتنة، كان رفيقه الساحر فيلونا عازف بيانو رائع لكنه لسوء الحظ كان فقيراً جداً.

السيارة تسير بمرح، كان الشاب قد منحها شحنةً من مرجه، جلس ابنا العم على المقعد الأمامي؛ جيمي وصديقه الهنغاري جلسا في الخلف، بالتأكيد كان لفيلونا روحانية، وهو يواصل دندنته، بلحن يقطع أميال الطريق، طريقة الفرنسيين في قذف ضحكاتهم وكلماتهم الطريفة الخفيفة، كانت تزيد من قدراتهم على تحمل المسؤوليات، في أحوال كثيرة كان جيمي يجتهد كثيراً للإمساك بعبارة من عبارات الأغنية ذات الإيقاع السريع، هذا الاجتهاد كان حرياً بأن يبدد متعته، بشكل دائم، كان يحزر المعنى التقريبي بحذاقة، ومع نهاية كل مقطع تجد صيحةً كرد فعل يتناسب معها، بالإضافة إلى همهمة فيلونا القادرة على تشويش أي شخص ومع ضوضاء محرك السيارة أيضاً.

الحركة السريعة خلال الفضاء واللامبالاة وامتلاك المال، كانت هذه ثلاثة أسباب جيدة لاستثارة جيمي وجعله متحمساً، كان قد رأى العديد من أصدقائه العاملين في شركة هؤلاء الأوربيين، سيكويين قدمه إلى أحد المنافسين الفرنسيين كي يختبره، وفي رد على هممته المشوشة للإطراء، كشف السائق ذو البشرة

السمراء عن خَطِّ أسنانه البيضاء المشرقة، كان هادئاً مع تلك السمعة الحسنة، وبعد مظاهر الحفاوة والتكريم، عاد إلى عالم الإمتهان والاحتقار من قبل المحيطين به، وسط دفعات خفيفة ونظرات ذات مغزى، ثم بالنسبة إلى المال - كَانَ فعلاً عنده مبلغ عظيم تحت سيطرته. سيكويون لا يفكر بثروة عظيمة ربما، لكن جيمي، وبالرغم من الأخطاء المؤقتة، كَانَ في الواقع قد ورث الصلابة، وهو يعرف جيداً بأن الصعوبات قد اجتمعت، هذه المعرفة المسبقة هي التي أبقت فواتيره ضمن حدود العقل وبعيداً عن التهور، وإذا كَانَ هو يشعر بأن المال يختبئ ويكمن داخل نقابة العمال، وأن مجرد سؤال بسيط، كان من شأنه أن يجذب اهتمام الاستخبارات العليا، حتى وهو الآن على وشك أن يراهن بالجزء الأعظم من ماله، وكان شيئاً خطيراً بالنسبة له.

بالطبع، كان استثمار فرصة جيدة، وإدارة سيكويون أعطت انطبعا جيداً في البداية، بأن ذلك كان خدمة للصداقة، المال الإيرلندي المتعفن كان يتضمن في رأسمال المهتمين. جيمي كَانَ يَكُنْ احتراماً لدهاء والده في أمور العمل، وفي هذه الحالة كانت لوالده الذي كان أول من اقترح الاستثمار، أصغر عملة إيرلندية كانت مهمة لرأس المال، والمال يولد الأعمال، والأعمال قدور المال، سيكويون علاوة على ذلك، كَانَ عنده المناخ الصحي لنمو الثروة، عَرَضَ جيمي على نحوٍ مُنْظَمٍ خطة عمل الأيام، وتبوأ مقعده في السيارة الفخمة التي جلسَ فيها. كم سارتُ بهدوء. وبهذه المتعة ساروا على طول الطريق الريفية! الرحلة وَضَعَتْ إصبعها السحري على النبض الأصيل للحياة، وبأناقة الآلية التي تدار بها الأعصاب الإنسانية سَعَتْ للاستجابة لتتنطط الحيوان الأزرق السريع.

خَفَضُوا سرعتهم في شارع السيدة. الشارع كَانَ مزدحماً بمرورٍ غير عادي، والصخب المصاحب لأبواق سائقي السيارات وصوت منبهات سواق الشاحنات نافذي الصبر. كان سيكويون يعدُّ شيئاً ما قُرْبَ المصرف، حيث نزل جيمي وصديقه. مجموعة قليلة من الناس تجمعوا على الممشى احتراماً لشخير السيارة. كانت الحفلة أن يتناولوا العشاء معاً ذلك المساء في فندق سيكويون، وفي أثناء ذلك جيمي وصديقه اللذان كانا معه، ذهبوا إلى المنزل ليتهيئوا، قِيدَتِ السيارة ببطء إلى شارع كرافتون بينما شقَّ شابان الطريق خلال حشود الناظرين. مشياً شمالاً مع شعور فضولي بالإحباط في تلك الحفلة، بينما علقت في المدينة فوقهم كرات الضوء في سديم المساء الصيفي.

في بيت جيمي كان هذا العشاء فرصة ملائمة، مخاوف والديه كانت مزروجة ببعض الافتخار والاشتياق، وأيضاً، للعمل السريع والحر لأسماء المدن الأجنبية العظيمة والتي على الأقل لها هذه المزية. جيمي، أيضاً، كان جادا جدا عندما غير ثيابه، كما وَقَفَ في القاعة معطياً انزانيا إلى أقواس ربطة لباسه، أبوه رُبَمَا شعرَ بأن كل شيء محقق بشكل تجاري على حصوله لضمان لنوعية ابنه في أحوال كثيرة يستميل للرشوة. لذلك، أبوه، كَانَ صديقاً غير عادي مع أسلوبه واضحا باحترام حقيقي للإنجازات الأجنبية؛ لكن ذلك الحذق من المحتمل قد أهدر على الهنغاري، الذي كَانَ يَبْدُو بامتلاك رغبة شديدة لعشائه. كان العشاء ممتازاً ومن الطراز الأول. سيكويون وجيمي صمموا على أن يكون له طعم مميز جدا، زِيدَتِ الحفلة بشباب انكليزي يدعى روث والذي رآه جيمي مع سكيويون في كامبردج. الشباب رشفوا في غرفة الراحة الإنارة بالمصابيح الكهربائية. تحدثوا بشكل مهذار مع قليل من التحفظ. خيال جيمي المشتعل صور له الشاب الفرنسي النشط يلتف بأناقة على الإطار القوي للعادات الحميدة للرجال الانكليز. صورته الجميلة فكرة واحدة فقط، أُعْجِبَ ببراعة المحادثة المباشرة مع أي مضيف. الشباب الخمسة كانت لديهم أذواق شتى كما وقد فُكَّتْ عقدة السننهم. فيلونا مع الاحترام الهائل، بدأ باكتشاف مفاجئ وبشكل معتدل

شعر بقلّة الجمهور دون وضوح: الذكاء كان يومض. اللعبة سارت بسرعة وبدأت الورقة بالعبور. جيمي لم يكن يعرف بالضبط من الذي كان يربح لكنه كان يعرف بأنه كان يخسر. لكنه كان عيبه الخاص هو أخطائه في كثير من أوراقه والرجال الآخرون كانوا يحسبون آل أي. أو يو. له. كان زملاءه شياطين لكنه تمنى بأن يتوقفوا. الوقت صار متأخراً. شخص ما أعطى النخب بيكي من نيوبورت. وشخص ما اقترح لعبة كبيرة للنهاية.

توقف اللعب، كان على فيلونا أن تتغلب على ورق اللعب. لقد كانت لعبة فظيعة. توقفوا فقط قبل النهاية منها ليشرّبوا كأساً من أجل الحظ. جيمي أدرك بأن اللعبة صارت بين روث وسيكوين. ما هذه الإثارة! جيمي كان مثاراً أيضاً. هو خسر، طبعاً. كم كان المكتوب بعيداً! الرجال ارتفعت أقدامهم للعب الخدع الأخيرة. بالكلام والإيماء ربح روث. الحجرة اهتزت بهتاف الشباب وأوراق اللعب حُرمت معاً. ثم بدأ اللذين ربحوا بالتجمع. فارلي وجيمي كانا أثقل الخاسرين.

كان يعلم بأنه سوف يندم في الصباح لكن في الوقت الحاضر كان مسروراً من أجل البقية. مسروراً بالإندهال المظلم الذي يغطي حماقته، مال بمرفقيه على الحادة وأراح رأسه بين يديه، حاسباً ضربات معابده. انفتح باب الحجرة ورأى الرجل الهنغاري عند نمود الضوء الرمادي: "الفجر، أيها السادة المحترمون"

1 يدل مصطلح Continent بحسب قاموس أكسفورد الصادر عن دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر على: قارة أوروبا باستثناء بريطانيا والجزر التابعة لها.

2 نلاحظ أنّ جويس لا ينفك عن الطعن والاستهزاء بالإنكليز الذين يعتبرهم الشعب الإيرلندي محتلين، ولا يترك فرصة تفوته، كما في يوليسيس (ارو إلى ذلك الشاب الأوكسفوردي.. إنّه متخم بالمال ويعتقد أنّك لست رجلاً مهذباً... وكيف لي أن أتصورك تستجدي من هؤلاء الخنازير؟... حظيرة إنكليز شاحبي الوجوه: يمسون أضلاعهم من الضحك، يشبك أحدهم الآخر. راح يثب وقرزل حول الطاولة ببظلوئه النازل إلى عقبية وتلاحقه أرواح موتى كلية ماكدولين) جيمس جويس - يوليسيس - ترجمة صلاح نيازي - دار المدى - 2001-1 دمشق - ص 18. وذكر المترجم صلاح نيازي أنّ جويس يلقب الأوكسفوردي والساكسوني بـ OX وهي تعني الثور، وكلية ماكدولين هي إحدى كليات جامعة أكسفورد. وهكذا ساق جويس طوفاناً من الشتائم للإنكليز في أسطر قليلة...

❖ إنني مستعد لأن أنظف ما تشاء من مراحيض.. وذلك عملٌ كغيره من الأعمال، بل إنّه لأكبر كثيراً من عمل رجل مثل رافائيل أو بوشكين، لسبب بسيط هو أنّه أكثر نفعا.

دستوفسكي - الجريمة والعقاب/ ج2 - ترجمة د. سامي الدروبي - ط2 - 1985 - دار ابن رشد - بيروت - ص 170.

❖ كلما كان مكر المرء أكبر، كانت الأمور الأيسر هي التي توقعه في الفخ.

دستوفسكي - الجريمة والعقاب/ ج1 - ترجمة د. سامي الدروبي - ط2 - 1985 - دار ابن رشد - بيروت - ص 484.

❖ الحب وباء..... (ماركيز - مائة عام من العزلة - ترجمة صالح علماني - 2005 - دار المدى - ص 88.

❖ تحدث في العالم أشياء لا تصدق. فهناك بالضبط على ضفة النهر الأخرى، توجد كل

أنواع الأجهزة السحرية بينما نواصل نحن العيش كالحمير.

ماركيز - مائة عام من العزلة - ترجمة صالح علماني - 2005 - دار المدى - ص 15.